الآفة العشرون
التشاؤم

والآفة العشرون التى أصابت، وتصيب نفرًا من العاملين، بل ومن غير العاملين ولم يسلم منها إلا من حباه الله ـ عز وجل ـ إيمانًا صادقًا، ويقينًا تامًا، إنما هى : (التشاؤم) .

وحتى يتخلص من هذه الآفة من ابتلى بها، ويتوقاها من سلمه الله ـ تبارك وتعالى ـ منها، فإننا سنعرض لها من الجوانب التالية :

أولا : تعريف التشاؤم :

لغة : يطلق التشاؤم فى اللغة على معانٍ عدةً، وأهمها :

أ ـ التطير أو ما يقابل التيامن، يقال : تشاءم منه أى تطيَّر، وتشاءم به أى عدَّه شؤمًا لا يمن فيه ولا خير، وذلك أن العرب فى الجاهلية كانوا إذا أرادوا أمرًا من الأمور سفرًا، أو زواجًا، أو سيرًا نفروا الطير، وزجروه، فإن مال ناحية اليمين تفاءلوا، ومضوا لتنفيذ ما يريدون، وإن مال ناحية الشمال تشاءموا، وقعدوا عن إتمام وبلوغ ما قصدوه، وإن لم تمل لا إلى هذه، ولا إلى تلك، أعادوا تنفير الطير وزجره، وسمى هذا كله تطيرًا، كما سمى القعود عن أداء الواجب نتيجة ميل الطير ناحية الشمال تطيرًا أى تشاؤمًا، وكانوا فى أحايين أخرى يبنون أمور حياتهم على مجرد حركة الطير، أو الوحش، فإن كانوا سائرين فى طريقهم لإمضاء أمر ما، ورأوا الطير أو الوحش فجأة، أو كان الطير أو الوحش واقفًا، وحين رآهم ولى وأدبر، تطيروا، أى تشاءموا ورجعوا .

ب ـ توهم أو توقع الشرِّ، يقال : تشاءم من الأمر أو من فلان أى توهم، وتوقع الشر من ناحيته، ومنه قيل لأهل النار : أصحاب المشأمة، للعذاب أو الشر الذى ينزل بهم، بسبب كفرهم، وسوء أعمالهم فى الحياة الدنيا، قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾** ﴾ [البلد] .

ومنه ما يحكى عن الأعاجم أنهم كانوا يتشاءمون عند الخروج بالغداة برؤية الصبى، يذهب به إلى المعلم، ويتيمنون إذا خرجوا للحاجة ورأوا صبيًا يرجع من عند المعلم إلى بيته، ويتشاءمون برؤية السقاء، وعلى ظهره قربة مملوءة مشدودة، ويتيمنون برؤية فارغ السقاء مفتوحة، ويتشاءمون بالحمال المثقل بالحمل، والدابة الموقرة، ويتيمنون بالحمال الذى وضع حمله، ويحكى، والدابة التى حطَّ عنها حملها .

جـ ـ إساءة الظن بكل شىء فى الوجود خالقًا أو مخلوقًا، عاقلا أو غير عاقل[1].

وعندى أنه لا تعارض بين هذه المعانى اللغوية جميعًا، إذ التطير أو توقع الشر، والمكروه، ما هو إلا أثر من آثار سوء الظن بكل شىء فى الحياة .

اصطلاحًا : أما تعريف التشاؤم فى المصطلح الشرعى والدعوى فيتلخص فى : التطير أو توهم حصول الشر والمكروه بصورة تؤدى إلى القعود عن أداء الواجب، أو على الأقل الكسل والتوانى، والتراخى نتيجة إساءة الظن بكل شىء فى هذا الوجود، أو فى هذه الحياة .

ثانيًا : صور أو مظاهر التشاؤم مع بيان وضعه فى ميزان الإسلام :

وللتشاوم بهذا المعنى الذى قدمنا صور كثيرة، ومظاهر عدة، تدل عليه وبها يعرف، ونذكر منها :

١ ـ عدم الاستجابة للدعوة التى تنادى بالمشاركة فى العمل الجماعى من أجل التمكين لمنهج الله فى الأرض من جديد، على أساس أن الإسلام عقيدة، وعبادة، وخلق، وتشريع، أو هو دين ودولة، يشمل الحياتين جميعًا، الدنيا والآخرة، بدعوى أن عدونا يفوقنا عددًا، وعدة، وهو الآن الممسك بخناقًا، والموجه للحياة، وأين نحن إذن من هذا العدو ؟ لا مناص لنا إلا القعود، والاستسلام حتى الموت، أو أن يقضى الله أمرًا كان مفعولا .

٢ ـ المشاركة فى العمل الجماعى القائم على تصور أنه لا دخل للإسلام فى السياسة، نظرًا لما يجره هذا التصور ـ وهو أن الإسلام دين ودولة ـ من محن، وشدائد، وابتلاءات شهد بها واقع الأمة المسلمة منذ سقوط الخلافة الإسلامية إلى اليوم .

---

(١) انظر : المعجم الوسيط ١/ ٤٨٨ بتصرف، والمنهاج فى شعب الإيمان : للحليمى ٢/ ٢٠، وفتح البارى لابن حجر ١٠/ ٢١٢، ٢١٣ .

٣ ـ المشاركة فى العمل الجماعى للإسلام، على أساس أن هذا الإسلام دين ودولة، ولكن بهمَّة نازلة، وعزيمة ضعيفة، وإرادة فاترة، يأسًا، وقنوطًا من أننا مهما عملنا، فلا يمكن أبدًا أن نلحق بعدونا، فضلا عن أن نسبقه أو أن نفوقه .

٤ ـ التثبيط من همم وعزائم العاملين لدين الله بصدقٍ وجدية بدعوى الإشفاق والرحمة بهذا الصنف من الناس، وأنه لا داعى أن يتعب هؤلاء أنفسهم، وأن يجروا عليها من المحن والشدائد ما لا يعلمه إلا الله، ولاسيما وقد صار الأمر بأيدى أعدائهم، وأولئك اليوم هم حكام العالم، وساسته فى النظام العالمى الجديد، حسبهم أن يكونوا ـ هم، وأهلوهم، وأولادهم وذووهم ـ مسلمين فى أنفسهم، ولا شأن لهم بالآخرين، إذ الحق ـ تبارك وتعالى ـ يقول : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ** ﴾ [المائدة : ١٠٥] .

٥ ـ النظر لكل ما هو أجنبى من أشخاص، وأفكار، وإنتاج، بعين الإكبار، والإجلال، والاحترام، والتوقير، أما ما هو وطنى من أشخاص، وأفكار، وإنتاج، فينظر إليه بعين الاحتقار، والسخرية، والازدراء، والاستهزاء .

٦ ـ اليأس من رحمة الله، وعفوه، بسبب كثرة المعاصى والسيئات وتصور أن الله شديد العقاب فقط، وأنه لن يغفر، ولن يعفو، ولن يتجاوز بحال من الأحوال .

٧ ـ تصديق دعايات أعداء الله وأعداء الأمة الإسلامية القائمة على الدجل، وقلب الحقائق، والنيل من الإسلام، والمسلمين والرفع من شأن الكفر، والكافرين، بحيث يسلم ذلك فى نهاية المطاف إلى القطيعة للمسلمين، والموالاة للكافرين .

٨ ـ الخوف من بعض الحوادث اليومية العادية، والتى هى جزء من قضاء الله وقدره، ككسر بعض الأوانى، أو انطفاء المصابيح، أو صراخ وبكاء بعض الأولاد بصورة مستمرة، أو وقوع مكروه عند ولوج بعض الأماكن المباركة كالمساجد مثلا، ثم القعود عن أداء بعض الواجبات بسبب ذلك .

٩ ـ الخوف من لقاء المعروفين بالحسد، أو بالسحر والكهانة، وعدم اتباع الحكمة فى دعوة هؤلاء، ومداواتهم كى يقلعوا عما هم فيه من شرٍّ، وباطل.

هذه هى أهم صور أو مظاهر التشاؤم .

أما عن وضع هذا التشاؤم فى ميزان الإسلام، فيتلخص من خلال النظر فى النصوص الشرعية : أن التشاؤم أو التطير إن كان مجرد توهم أو توقع حصول الشر

نتيجة حوادث معينة، أثبتت التجارب، والممارسة صحتها، أو صدقها، مع اعتقاد أن الأمر كله لله، وليس لهذه الحوادث أدنى أثر على النفس إلا بإذن الله، بل لم تصرفه هذه الحوادث عن المضى فى طريقه وتنفيذ مراده، إن كان الأمر كذلك، فلا شىء فيه، لأن مثل هذا التوهم أو التوقع شىء فطرى فى النفس الإنسانية وما من إنسان إلا ويخاف الشر، وينقبض منه، ويفرح بالخير ويهش، ويبش له، وبهذا المعنى جاءت النصوص، إذ يقول ﷺ: « ثلاثة لا يسلم منهن أحد، الطيرة، والظن، والحسد، فإذا تطيرت فلا ترجع، وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا ظننت فلا تحقق » (١)، « إذا تطيرتم فامضوا، وعلى الله فتوكلوا » (٢)، « لن ينال الدرجات العلا من تكهن أو استقسم، أو رجع من سفر تطيراً » (٣)، « الطيرة شرك ـ وما منا إلا تطير ـ ولكن الله يذهبه بالتوكل » (٤).

وقد علق الحافظ ابن حجر على الحديث الأخير بقوله : « وإنما جعل ذلك شركًا لاعتقادهم أن ذلك يجلب نفعًا، أو يدفع ضرًا، فكأنهم أشركوه مع الله تعالى، وقوله: « ولكن الله يذهبه بالتوكل » إشارة إلى أن من وقع له ذلك، فسلم الله، ولم يعبأ بالطيرة، أنه لا يؤاخذ بما عرض له من ذلك » (٥).

---

(١) الحديث أخرجه عبد الرزاق فى: المصنف: كتاب الجامع: باب الطيرة ١٠/٤٠٣ رقم (١٩٥٠٤) عن معمر عن إسماعيل بن أمية قال : قال النبى ﷺ: « ثلاثة لا يعجزهنّ ابن آدم: الطيرة، وسوء الظن، والحسد » قال : « فينجيك من الطيرة ألا تعمل بها، وينجيك من سوء الظن ألا تتكلم به، وينجيك من الحسد ألا تبغى أخاك سوءًا » ، وأورده الحافظ ابن حجر فى : فتح البارى ١٠/٢١٣ ، وعزاه إلى عبد الرزاق فى المصنف بهذا اللفظ، وعقب عليه بقوله : « وهذا مرسل أو معضل، لكن له شاهد من حديث أبى هريرة ، أخرجه البيهقى فى الشعب ».

(٢) الحديث أورده الحافظ ابن حجر فى : فتح البارى ١٠/٢١٣، وعزاه إلى ابن عدى فى الكامل، قائلا : «وأخرج ابن عدى بسند لين عن أبى هريرة رفعه . . . الحديث » .

(٣) الحديث أورده الحافظ ابن حجر فى : فتح البارى ١٠/٢١٣، وعزاه إلى الطبرانى عن أبى الدرداء، رفعه، وعقب عليه بقوله : « ورجاله ثقات، إلا أننى أظن أن فيه انقطاعًا، وله شاهد عن عمران بن حصين، وأخرجه البزار فى أثناء حديث بسند جيد » .

(٤) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الطب : باب فى الطيرة ٤/١٧ رقم (٣٩١٠)، والترمذى فى : السنن : كتاب السير : باب فى الطيرة ٤/١٣٧، ١٣٨ رقم (١٦١٤)، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الطب : باب من كان يعجبه الفأل ٢/ ١١٧٠ رقم (٣٥٣٨)، كلهم من حديث ابن مسعود مرفوعًا، وعقب عليه الترمذى بقوله : « وهذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث سلمة بن كهيل » غير أن جملة « ولكن الله يذهبه بالتوكل » مدرجة فى الحديث من كلام ابن مسعود إذ يقول الترمذى: «وروى شعبة عن سلمة هذا الحديث قال : سمعت محمد بن إسماعيل يقول : كان سليمان بن حرب يقول فى هذا الحديث : « وما منا. . . ولكن الله يذهبه بالتوكل » قال سليمان : هذا عندى قول عبد الله بن مسعود : « وما سنا » .

(٥) انظر : فتح البارى ١٠/٢١٣ .

أما إن كان توهم أو توقع الشر لحوادث معينة دافعًا لصاحبه أن يقعد عن أداء دوره، والقيام بواجبه، اعتقادًا منه أن لهذه الحوادث أثرًا فيما يصيبه دون أن يرد الأمر كله لله، فذلك شرك، وهو حرام مذموم، يوجب لصاحبه عدم المغفرة، ومن ثم الخلود فى النار إذ يقول تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء ﴾ [النساء : ١١٦]

وإذ يقول ﷺ : « لا عدوى ولا طيرة، الشؤم فى ثلاث، فى المرأة، والدار، والدابة »[١] ، « لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر »[٢] ، «لا طيرة، وخيرها الفأل»، قالوا: وما الفأل يا رسول الله ؟ قال: « الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم »[٣] ، « لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبنى الفأل الصالح : الكلمة الحسنة »[٤] ، « العين حق،

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الطب : باب الطيرة، وباب لا عدوى ٧/ ١٧٤، ١٧٩، ومسلم فى : الصحيح : كتاب السلام : باب الطيرة والفأل، وما يكون فيه من الشؤم ٤/ ١٧٤٧ رقم (٢٢٢٥) كلاهما من حديث ابن عمر ﷺ مرفوعًا به، وأبو داود فى : السنن : كتاب الطب : باب فى : الطيرة ٤/ ١٩ رقم (٣٩٢١) من حديث سعد بن مالك مرفوعًا، وأحمد فى : المسند ١/ ١٧٤، ١٨٠ من حديث سعد بن مالك مرفوعًا، ٢/ ١٥٣ من حديث ابن عمر مرفوعًا .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الطب : باب لا هامة ٧/ ١٧٥، ومسلم فى: الصحيح: كتاب السلام: باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة،ولا صفر ٤/ ١٧٤٣ رقم (٢٢٢٠)، وأبو داود فى : السنن : كتاب الطب : باب فى الطيرة ٤/ ١٧ رقم (٣٩١١)، كلهم من حديث أبى هريرة ﷺ مرفوعًا، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الطب : باب من كان يعجبه الفأل، ويكره الطيرة ٢/ ١١٧١ رقم (٣٥٣٩) من حديث ابن عباس ﷺ مرفوعًا وقال عنه البوصيرى فى : مصباح الزجاجة فى زوائد ابن ماجه ٤/ ٧٧، ٧٨ : « هذا إسناد صحيح، ورجاله ثقات، وأحمد فى : المسند ١/ ٢٦٩، ٣٢٨ من حديث ابن عباس ﷺ مرفوعًا، ٢/ ٢٢٢ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ مرفوعًا، ولكن بلفظ: « لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا حسد، والعين حق »، ٢/ ٢٦٧، ٣٢٧، ٤٢٠، ٤٣٤، ٤٨٧ من حديث أبى هريرة ﷺ مرفوعًا به، وبنحوه .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب السلام : باب الطيرة، وباب الفأل ٧/ ١٧٤، ١٧٥، ومسلم فى : الصحيح : كتاب السلام : باب الطيرة والفأل، وما يكون فيه من الشؤم ٤/ ١٧٤٥ رقم (٢٢٢٣)، وأحمد فى : المسند ٢/ ٢٦٦، ٤٠٦، ٤٥٣ كلهم من حديث أبى هريرة ﷺ مرفوعًا .

(٤) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الطب : باب الفأل ٧/ ١٧٥ من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا بهذا اللفظ، ومسلم فى: الصحيح : كتاب الطب : باب الطيرة والفأل، وما يكون فيه من الشؤم ٤/ ١٧٤٦ رقم (٢٢٢٣، ٢٢٢٤)، من حديث أنس بن مالك، وأبى هريرة كليهما مرفوعًا . وأبو داود فى : السنن : كتاب الطب : باب فى الطيرة ٤/ ١٨ رقم (٣٩١٦) من حديث أنس بن مالك مرفوعًا بلفظ : « لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبنى الفأل الصالح، والفأل الصالح الكلمة الحسنة » وكأن هذه الرواية بيان لما أجمل فى رواية البخارى من قوله : « ويعجبنى الفأل الصالح : الكلمة الحسنة »، والترمذى فى : السنن : كتاب السير : باب ما جاء فى الطيرة ٤/ ١٣٨ رقم (١٦١٥) من حديث أنس مرفوعًا، وقال عنه : « هذا حديث حسن صحيح »، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الطب : باب من كان يعجبه الفأل، ويكره الطيرة ٢/ ١١٧٠ رقم (٣٥٣٧) من حديث أنس مرفوعًا ومختصرًا، وأحمد فى: المسند ٢/ ٥٠٧ من حديث أبى هريرة مرفوعًا، ٣/ ١١٨، ١٣٠، ١٥٤، ١٧٣، ١٧٨، ٢٥١، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨ من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا به، وبنحوه .

وأصدق الطيرة الفأل » [١] .

وذكرت الطيرة عنده ﷺ فقال : « خيرها الفأل، ولا ترد مسلمًا، فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقل : اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله » [٢] . وكان ﷺ يعجبه الفأل، ويكره الطيرة [٣] .

فهذه النصوص وغيرها قاطعة الدلالة فى حرمة الطيرة والتشاؤم ؛ لأن ذلك كله شرك، يجر على صاحبه خسارة الدنيا والآخرة .

غاية ما فى الأمر أنه قد يقال: كيف يكون هذا شركًا، وكيف يلحقه الذم، وقد أباح النبى ﷺ نوعًا منه، وهو التفاؤل، حيث قال : « وخيرها الفأل » أو «ويعجبنى الفأل الصالح » ؟ .

والجواب : أن هذا ليس إباحة للطيرة، وإنما هو من باب قول العرب : «الصيف أحرُّ من الشتاء » يعنى : الفأل فى بابه أبلغ من الطيرة فى بابها، وباب الفأل هو التيامن، كما أن باب الطيرة هو التشاؤم [٤] .

ويقوى ذلك الأحاديث الكثيرة الدالة على حرمة التطير وقد مضت، والأحاديث الدالة على إباحة التفاؤل ومنها : أنه ﷺ كان إذا خرج لحاجته يعجبه أن يسمع : « يا نجيح، يا راشد » [٥] ، وأنه ﷺ كان لا يتطير من شىء، وكان إذا بعث عاملا يسأل عن اسمه، فإذا أعجبه فرح به، وإن كره اسمه رؤى كراهة ذلك فى وجهه، وإذا

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الطب : باب ما جاء أن العين حق، والغسل لها ٤/٣٤٧ رقم (٢٠٦) من حديث حابس التميمى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لا شىء فى الهام، والعين حق» وأورده الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ١٠/ ٢١٤،وعزاه إلى الترمذى ولكن بلفظ : « العين حق، وأصدق الطيرة الفأل »، ولعله نقله من حفظه، وإلا فقد تقدم لفظ الترمذى .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الطب : باب فى الطيرة ٤/ ١٩ رقم (٣٩١٩) من حديث عروة بن عامر القرشى، ولا صحبة له تصح، فعلى هذا يكون الحديث مرسلا .

(٣) الحديث أخرجه ابن ماجه فى : السنن : كتاب الطب : باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة ٢/ ١١٧٠ رقم (٣٥٣٦)، وقال عنه البوصيرى فى : مصباح الزجاجة ٤/ ٧٧ « هذا إسناد صحيح رجاله ثقات » .

(٤) انظر : فتح البارى ١٠/ ٢١٤ بتصرف .

(٥) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب السير : باب ما جاء فى الطيرة ٤/ ١٣٨ رقم (١٦١٦) من حديث أنس بن مالك مرفوعًا بهذا اللفظ، وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن غريب صحيح » .

دخل قرية سأل عن اسمها . . . الحديث [١] .

يقول الإمام الحليمى صاحب المنهاج فى شعب الإيمان : « وإنما كان ﷺ يعجبه الفأل ؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال » [٢] .

ويقول الإمام الطيبى: «معنى الترخص فى الفأل، والمنع من الطيرة هو أن الشخص لو رأى شيئًا، فظنه حسنًا محرضًا على طلب حاجته فليفعل ذلك، وإن رآه بغير ذلك فلا يقبله، بل يمضى لسبيله، فلو قبل وانتهى عن المضى فهو الطيرة التى اختصت بأن تستعمل فى الشؤم » [٣] .

ثالثًا : أسباب التشاؤم :

وللتشاؤم أسباب كثيرة تؤدى إليه، وبواعث عدة توقع فيه، وأهم تلك الأسباب، وهذه البواعث :

١ ـ عدم معرفة الله حق المعرفة :

ذلك أن المرء إذا لم يعرف ربه حق المعرفة من أنه ـ سبحانه ـ موصوف بالكمال، والجلال : ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الرحمن]، فهو الخالق، المالك، المدبر، الناصر لأهله، وأوليائه، الرحيم بهم، المنتقم من أعدائه، المذل لكبريائهم، الذى يمهل ولا يهمل، إلى غير ذلك من الصفات، إذا لم يعرف المرء هذا فإنه يسىء ظنه بربه، ولا يثق به، ويتصور أنه مأخوذ بذنبه لا محالة، فلا عفو ولا صفح، وأنه لن يؤيد، ولن ينصر، بل ربما انقلب هذا الظن، وما يجره من عدم الثقة بالله إلى أن يعتقد قدرة المخلوقات وارتباط الحوادث اليومية بالغيب، فيتولى هؤلاء المخلوقين من دون الله، ويكون التطير والتشاؤم .

ومن أجل حماية المسلم من مثل هذا الظن السيئ ألزم الله المسلم التأمل المستمر فى النفس، وفى الكون، وجعل هذا التأمل طريقًا لمعرفة الله حق المعرفة، وتمام الثقة واليقين، فقال ـ سبحانه : ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الطب : باب فى الطيرة ٤/ ١٩ رقم (٣٩٢٠) من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه مرفوعًا بهذا اللفظ، وحسنه ابن حجر فى فتح البارى ١٠/ ٢١٥ .

(٢، ٣) انظر : فتح البارى ١٠/ ٢١٥ .

[الذاريات] ، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [النمل : ٩٣] .

كما تولى القرآن التعريف بالله بصورة تزرع الثقة واليقين به سبحانه وتعالى، وكان ذلك منذ بدأت آيات الوحى تتنزل على رسول اللهﷺ ، حتى ختم هذا الوحى، يقول سبحانه : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ [العلق] ، ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ... ﴾ [سورة الفاتحة] ، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤) ﴾ [الملك]، إلى غير ذلك من الآيات.

وتولى النبىﷺ ذلك أيضًا، فقال فى بيان قدرته سبحانه : « بينما رجل يسوق بقرة، إذ ركبها، فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا للحرث » فقال الناس: سبحان الله، بقرة تتكلم، فقال : « إنى أومن بهذا أنا، وأبو بكر، وعمر وما هما ثمَّ، وبينما رجل فى غنمه، إذ عدا الذئب، فذهب منها بشاة، فطلب حتى كأنه استنقذها منه، فقال له الذئب: هذا استنقذها منى، فمن لها يوم السبع، يوم لا راعى لها غيرى»، فقال الناس: سبحان الله: ذئب يتكلم، قال: « فإنى أؤمن بهذا أنا، وأبو بكر، وعمر: وما هما ثمَّ »[(١)] .

وقال فى بيان إمهاله للظالمين، ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر : « إن الله ليملى للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته »[(٢)] .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الأنبياء : باب منه ٤/ ٢١٢، ومسلم فى . الصحيح . كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أبى بكر الصديق رضي الله عنه ٤/ ١٨٥٧، ١٨٥٨ رقم (٢٣٨٨) كلاهما من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، واللفظ للبخارى .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب التفسير : سورة هود ٦/ ٩٤، ومسلم فى : الصحيح: كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الظلم ٤/ ١٩٩٧، ١٩٩٨، رقم (٢٥٨٣)، والترمذى فى: السنن: كتاب التفسير : باب ومن سورة هود ٥/ ٢٦٩ رقم (٣١١٠) ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح غريب »، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الفتن : باب العقوبات ٢/ ١٣٣٢ رقم (٤٠١٨) كلهم من حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه مرفوعًا .

٢ ـ عدم معرفة النفس معرفة حقيقية :

وذلك أن المرء إذا لم يعرف نفسه معرفة حقيقية، وأن الله زود هذه النفس بطاقات وإمكانات هائلة تؤهلها لمهمة العبودية، والاستخلاف فى الأرض، كما نطق بذلك الحديث الشريف إذ يقول ﷺ:

« لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال، فألقاها عليها فاستقرت، فتعجبت الملائكة من خلق الجبال، فقالت: يارب هل من خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال : نعم، الحديد، قالت : يارب هل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟ قال : نعم، النار، قالت : يا رب هل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال : نعم، الماء، قالت : يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الماء ؟ قال : نعم، الريح، قالت : يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الريح ؟ قال : نعم، ابن آدم، يتصدق بيمينه يخفيها من شماله » (١).

وأنه ما على هذا المرء إلا أن يجاهد نفسه، وأهواءه، ونزغاته، إذا لم يعرف المرء نفسه بهذه الصورة، فإنه ينهزم من داخله، ويحتقر هذه النفس، ولا سيما فى هذه الآونة التى نعيشها اليوم والتى أمسك فيها العدو بخناقنا، وأكثر علينا من الدعايات والأكاذيب أنَّا ضعفاء، وأنَّا لم نعد نحسن شيئًا، وحين ينهزم المرء من داخله، ويحتقر نفسه يكون التشاؤم من أقل شيء، ومن أدنى حادث .

ولعل هذا هو السر فى تحذيره ﷺ من الانهزام النفسى، والاستسلام، والضعف، والخور، إذ يقول ﷺ:

« المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز . . . » الحديث (٢)، « لا يحقرن أحدكم نفسه » قالوا : يا رسول الله، كيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : « يرى أمرًا لله عليه فيه

---

(١) الحديث أخرجه أحمد فى : المسند ٣/ ١٢٤ من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا بهذا اللفظ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب القدر : باب فى الأمر بالقوة، وترك العجز والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله ٤/ ٢٠٥٢ رقم (٢٦٦٤)، وابن ماجه فى : السنن : المقدمة : باب فى القدر ١/ ٣١ رقم (٧٩) كلاهما من حديث أبى هريرة مرفوعًا بهذا اللفظ، وزاد ابن ماجه فى : كتاب الزهد : باب التوكل واليقين ٢/ ١٢٩٥ رقم (٤١٦٨) رواية أخرى عن أبى هريرة بنحو ما تقدم، غير أنَّه قال فيها: « . . . فإن غلبك أمر فقل: قدر الله وما شاء الله فعل، وإياك واللو، فإن اللو تفتح عمل الشيطان » .

مقال ثم لا يقول فيه، فيقول الله ـ عز وجل ـ له يوم القيامة : ما منعك أن تقول فىَّ كذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس، فيقول : فإياى كنت أحق أن تخشى »(١) .

٣ ـ عدم معرفة الكون معرفة حقيقية :

وذلك أن المرء إذا لم يعرف حقيقة هذا الكون الذى يعيش فيه وأنه من خلق الله، وتدبيره، وأنه سخره لنا، وضمن استمرار هذا التسخير بالطاعة، وانقطاعه بالمعصية، فقال ـ سبحانه :

﴿ اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِى الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى الْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤) ﴾ [الرعد]، ﴿ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) ﴾ [إبراهيم]، ﴿ اللَّهُ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِىَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) ﴾ [الجاثية]، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) ﴾ [الأعراف] .

وإن فى واقع البشرية نماذج عملية تشهد بهذه الحقيقة، وتؤكد هذه السنة، فهذا داود عليه السلام يلين الله له الحديد بطاعته لله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِى السَّرْدِ ﴾ [سبأ] .

وهذا ولده سليمان يسخر الله له الريح، والطير، والوحش، والإنس، والجن بطاعته لله كذلك : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ﴾ [سبأ] .

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه فى : السنن : كتاب الفتن : باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ٢/ ١٣٢٨ رقم (٤٠٠٨)، وقال عنه البوصيرى فى : مصباح الزجاجة ٤/ ١٨٢ : « هذا إسناد صحيح »، وأحمد فى : المسند ٣/ ٣٠، ٤٧، ٤٨، ٧٣، ٩١، ٩٢ كلاهما من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه مرفوعًا، واللفظ لابن ماجه .

وهذا محمد ﷺ ينصره الله ـ عز وجل ـ ومن معه فى غزوة الأحزاب، بالريح، والملائكة، فيقول سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) ﴾ [الأحزاب]، بينما يسلط هذه الريح على عاد قوم هود عندما طغوا فى البلاد، وأكثروا فيها الفساد، وقالوا : من أشد منا قوة، فقال : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (٤٢) ﴾ [الذاريات] .

ويرسل الحجارة على قوم لوط عندما أصروا على إتيان الرجال، وقطع السبيل، وفعل المنكرات : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ (٧٤) ﴾ [الحجر] .

ويغرق بالماء فرعون وقومه حين طغى، وبغى، وقال : أنا ربكم الأعلى : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ (٥٦) ﴾ [الزخرف] .

إذا لم يعرف المرء حقيقة الكون، وكيفية التعامل معه على النحو الذى شرحنا، فإنه يسوء ظنُّه بكل شىء فيه، ويعاديه، ويكون التطير، والتشاؤم .

٤ ـ عدم معرفة العدو على حقيقته :

وذلك أن المرء إذا لم يعرف عدوه على حقيقته، وأن عداوته قديمة منذ أمر إبليس بالسجود لآدم فأبى واستكبر، وكان من الكافرين، وأن هذا العدو لا يفتأ يكيد بكل ما أوتى من أساليب ووسائل : ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) ﴾ [الأعراف] .

وأنه لا وزن لهذا الكيد ما دامت الصلة قوية بالله : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) ﴾ [الطلاق]، ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) ﴾ [الحجر]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال : ٢٩]، ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦) ﴾ [فصلت]، ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٥) ﴾ [آل عمران] .

إذا لم يعرف المرء حقيقة عدوه على الصورة التى شرحنا، فإنه يهابه ويخافه، ويستجيب لدعاياته، وأكاذيبه، ويكون التطير والتشاؤم من أدنى شىء، ومن أى حادث من الحوادث .

٥ ـ عدم فقه ماهية الجهاد والنصر فقهًا حقيقيا :

وذلك أن نفرًا من المسلمين قد فقهوا الجهاد بمعناه العرفى وهو ملاقاة العدو بالقوة، ممثلة فى الضرب بالسيوف أو الطعن بالرماح، أو الرمى بالسهام، أو ما يقوم مقام ذلك مما ابتكرته مدنية العصر من استخدام البنادق، والمدافع، والدبابات، والمصفحات، والطائرات، والغواصات ونحوها .

وغاب عن بالهم معناه الاصطلاحى، وهو بذل أقصى ما فى الطاقة والوسع من أجل تحرير الأرض كلها من أى سلطان مناوئ لسلطان الله ـ عز وجل ـ بحيث يشمل جهاد النفس، وجهاد العدو باليد، وباللسان، وبالقلب، وكذلك يتناول تجهيز الغزاة، والقيام بحاجة أهليهم، وأولادهم سواء رجعوا إليهم، أو لقوا ربهم شهداء، بل إنه ليتناول ما هو أبعد من ذلك، من مثل دعوة الناس، وتعليمهم، وحضهم على الجهاد واستحضار نية الغزو، ما دامت هناك عين تطرف أو عرق ينبض، مع أخذ الأهبة والاستعداد لتحويل هذه النية إلى واقع حى متحرك فى دنيا الناس، وطبيعة الظروف التى يعيشها المسلم هى التى تحدد نوع الجهاد الواجب والرباط المطلوب .

وكذلك فقه هذا النفر النصر بمعناه العرفى وهو تحرير الدار والأرض من سيطرة الغاصب المحتل، وغاب عن بالهم معناه الاصطلاحى وهو التحرر من سيطرة الباطل، سواء أكان ذلك فى النفس أم فى واقع الحياة .

ففقهوا الجهاد والنصر بالمعنى العرفى الضيق، لا بالمعنى الاصطلاحى الواسع، وحين لم يتحقق لهم شىء من هذين تطيروا وتشاءموا، وهكذا كل من لم يفقه الجهاد والنصر الفقه الصحيح يقع فى التطير والتشاؤم .

٦ ـ كثرة المحن والابتلاءات مع الغفلة عن أسرار هذه المحن وتلك الابتلاءات :

وذلك أن المسلم إذا نظر إلى واقعه، وواقع أمته اليوم، ورأى كثرة وتتابع المحن، والابتلاءات، فى نفسه، وفى أهله، وولده، وذويه، وإخوانه، وماله، وغفل عن أسرار هذه المحن وتلك الابتلاءات، من أنها قد تكون لتقويم العوج: ﴿**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ**﴾ [آل عمران : ١٥٢] .

وقد تكون لتمحيص المؤمنين ومحق الكافرين ﴿ **وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١)** ﴾ [آل عمران]، ﴿ **مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ**

الطَّيِّب ﴾ [آل عمران : ١٧٩] ، ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١) ﴾ [محمد] .

وقد تكون تكفيرًا للسيئات، ورفعًا للدرجات بالنسبة للمؤمنين مصداقًا لقوله ﷺ :

« ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه » [(١)] ، « إذا سبقت للعبد من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله فى جسده، أو فى ماله، أو فى ولده، ثم صبره حتى يبلغه المنزلة التى سبقت له منه » [(٢)] ، وقد تكون لغير ذلك .

إذا رأى المسلم المحن والبلايا بهذه الكثرة، وغفل عن فقه أسرارها، أصيب بالانهزام النفسى وما يتبعه من التطير والتشاؤم .

٧ ـ العيش فى وسط متشائم :

وقد يعيش المسلم فى وسط مريض بالتشاؤم، ولا سيما إذا كان هذا العيش قبل النضج، وكمال التربية، وحينئذ يتأثر بهذا الوسط، ويصاب هو الآخر بمرض التشاؤم .

٨ ـ الغفلة عن طبيعة الصراع بين الحق والباطل :

وقد يغيب عن بال المسلم طبيعة الصراع بين الحق والباطل، ويرى اليوم نشوة الباطل، وانتفاخه، وقوة صولجانه، وضعف الحق، وقلة أنصاره، وانزواءه، فيظنها سنة عامة مضت بها كل العصور، وستبقى كذلك إلى آخر الزمان، وحينئذ يبتلى بالتشاؤم .

ولعل هذا هو السر فى اشتمال القرآن الكريم على قصص الماضين وما يحمله هذا القصص من عظات وعبر، بل ودعوته إلى التدبر والتفكر فى هذا القصص ونتائجه، إذ يقول سبحانه : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِى الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف : ١١١] ، ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) ﴾ [الأعراف] ، ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) ﴾

[آل عمران]

---

(١) الحديث سبق تخريجه فى الجزء الثانى، آفة : « ضعف أو تلاشى الالتزام » .

(٢) الحديث أخرجه أحمد فى: المسند ٥/ ٢٧٢ قال: حدثنا حسين بن محمد، ثنا أبو المليح، عن محمد بن خالد، عن أبيه، عن جده ـ وكان لجده صحبة ـ أنَّه خرج زائرًا لرجل من إخوانه، فبلغه شكاته، قال : فدخل عليه، فقال : أتيتك زائرًا، عائدًا ومبشرًا، قال : كيف جمعت هذا كله، قال : خرجت وأنا أريد زيارتك، فبلغتنى شكاتك، فكانت عيادة، وأبشرك بشىء سمعته من رسول الله ﷺ قال : « إذا سبقت للعبد من الله منزلة . . . » الحديث .

٩ ـ قياس واقع الأمة بحاضرها دون النظر إلى الماضى :

وقد يقيس البعض واقع الأمة اليوم بما هى فيه من حاضر فيرى الشرور، والآثام، والفساد المنتشر هنا وهناك والحروب الضروس الموجهة للإسلام وأهله، وممن ؟ من أبناء جلدتنا، والناطقين بلغتنا، والمسمين بأسمائنا .

يقيس هذا الواقع بالنظر إلى هذا الحاضر المرير، وينسى الماضى، والماضى القريب، وكيف تنصَّلت الأمة من إسلامها أو هكذا أريد لها أن تتنصل من إسلامها؟ حيث كانت الصحف والمجلات، وباقى وسائل الإعلام لا همَّ لها إلا الطعن فى الإسلام ونشر موجة الإلحاد، والإباحية بين الناس، وعضدها وساعدها نفر من الكتاب تربيتهم وتوجيههم غربى، بل فرض ذلك فرضًا بقوة السلطان وكانت الثمرة سقوط الخلافة الإسلامية، وتقسيم الدولة إلى دويلات وشيوع الموبقات من الشرك بالله، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والعقوق، والقطيعة، ونبذ منهج الله والتحاكم إلى المناهج الوافدة من هنا وهناك، والمصنوعة بأيدى البشر، وبمثل هذا المقياس يمكن أن يكون الوقوع فى غوائل التطير، والتشاؤم .

١٠ ـ عدم إدراك عواقب التشاؤم :

وأخيرًا قد يكون عدم إدراك عواقب التشاؤم الدنيوية والأخروية الفردية والجماعية، هى السبب فى الوقوع فى آفة التشاؤم .

رابعًا : آثار التشاؤم :

وللتشاؤم آثاره السلبية، وعواقبه المهلكة على العاملين، وعلى العمل الإسلامى، ودونك طرفًا من هذه الآثار، وتلك العواقب :

أ ـ على العاملين :

فمن آثار التشاؤم على العاملين :

١ ـ التراخى مع النفس ربما إلى حد التطاول على حدود الله ، والوقوع فى حبائل الشرك والعياذ بالله : وقد رأينا أقوامًا ملء السمع والبصر فى العمل الإسلامى، ثم سيطر عليهم التشاؤم، فإذا هم خارج دائرة العمل الإسلامى، وإذا الشياطين قد اغتالتهم، ففرطوا وأسرفوا على أنفسهم، وتطاولوا على حدود الله، وتحول ولاؤهم للشيطان وحزبه، بعد أن كان ولاؤهم لله ولرسوله، وللمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، وهم راكعون، بل لقد حدثنى من أثق به أن أحدهم كان

يبكى الناس بحديثه، وتلاوته لآيات الله، وقد خاض محنة قاسية شديدة اضطرته إلى الهجرة، والعيش فى ديار الغربة، ثم ابتلى بالدنيا بعدها، وسيطر عليه التشاؤم من أن العمل الإسلامى سيظل هكذا فى مكانه، ولن يصل إلى ما يريد، وكان أن تُرِك، وأصبح ذيلا أو ذنبًا، أو ظلا لملك من ملوك الأرض يرى ما تراه عينه وما يريد، فيفتى به، وضاع مع الضائعين .

٢ ـ القلق والاضطراب النفسى : وذلك لما قدمنا من أن التطير أو التشاؤم شرك، وقد آلى الله ـ عز وجل ـ على نفسه أن ينتزع من قلوب أولئك الأمن والأمان، والطمأنينة، كما يفهم من قوله سبحانه : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢)** ﴾ [الأنعام] ، ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٢٩)** ﴾ [الزمر] .

وكما جاء صريحًا فى قوله سبحانه : ﴿ **وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧)** ﴾ [الجن] ، ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا** ﴾ [طه : ١٢٤] .

٣ ـ تعريض النفس لغضب الله وسخطه : وذلك أن التشاؤم إذا وصل إلى حد القعود عن أداء الواجب فقد صار لونًا من ألوان الشرك، يجر إلى كثير من المعاصى والسيئات، والمعاصى والسيئات توجب غضب الله، وسخطه، وماذا يجنى من حل عليه غضب الله وسخطه، سوى الضياع والعذاب، وصدق الله : ﴿ **وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ (٨١)** ﴾ [طه] .

ب ـ على العمل الإسلامى :

وأما آثار التشاؤم على العمل الإسلامى فكثيرة، نذكر منها :

١ ـ التثبيط والتعطيل للآخرين :

وذلك أن قعود المتشائم قد يؤدى إلى تثبيط همم الآخرين وقعودهم مثله، ولا سيما فى صفوف الناشئة الذين ليست لديهم الحصانة، وحينئذٍ يتحمل هذا المتشائم إثمين :

الأول : إثم تشاؤمه وقعوده عن أداء دوره، والقيام بواجبه .

والآخر : إثم تثبيط همم الآخرين، وتعطيلهم عن المضى فى الطريق .

٢ ـ الحرمان من العون والمدد الإلهى :

وذلك أن سنة الله ـ سبحانه ـ فى خلقه مضت أن يمنح التأييد التام، والعطاء الكامل لمن وصلوا أنفسهم به، فحسنوا الظنَّ ومضوا على الطريق مجاهدين، لا يلوون على شىء إلا على مغفرته ورضوانه، أما إن أساءوا، وتشاءموا، فإنه يقطع عنهم عونه، ومدده، وإن كان فلا يكون كاملا، وربما يكون من باب : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢) ﴾ [الأعراف] .

٣ ـ طول الليل مع استمرار حياة الذل والهوان :

وذلك أن التشاؤم إذا انتهى إلى القعود عن أداء الواجب، والحرمان من العون والمدد الربانى، فإن أعداء الله يحكمون القبضة ويطول الليل، وتستمر حياة الذل والهوان، وهذا ما نعيشه نحن المسلمين اليوم، فالمتشائمون فينا قعدوا، وأقعدوا، وحرمنا بسببهم العون الكامل، والنصير من البشر، فطوَّق العدو أعناقنا، وطال الليل، وصرنا إلى ذلٍّ لا ذلَّ بعده، وهوان لا يعدله هوان .

خامسًا : علاج التشاؤم :

ونستطيع بعد وقوفنا على ماهية وصور التشاؤم، وموقف الإسلام منه وكذلك بعد معرفتنا لأسبابه، وبواعثه، وآثاره المهلكة على العاملين، وعلى العمل الإسلامى، أن نرسم طريق العلاج والوقاية من هذه الآفة، وتتلخص فى الخطوات التالية :

١ ـ التعريف بالله تعريفًا يورث الثقة واليقين : وطريق ذلك التأمل فى النفس وفى الكون : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) ﴾ [الذاريات] .

وأيضًا معايشة الكتاب والسنة، إذ ليس فى الدنيا مصدر يعدلهما ثقة، وعصمة، وفيهما الدواء، والغذاء إن شاء الله .

ثم النظر فى سير أصحاب الدعوات ، ومن تابعوهم على الطريق وكيف كان جهادهم، وصبرهم، وتحملهم، وتفاؤلهم حتى أعزَّهم الله بعزه،وأمدهم بجنده، ومكن لهم فى الأرض كما قال سبحانه : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١) ﴾ [المجادلة] ، ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣) ﴾ [الصافات] .

٢ ـ التعريف بالنفس تعريفًا يدفعها إلى مقاومة التشاؤم، والانهزام النفسى، والثقة بأنها قادرة بعون الله ومدده على الكثير، شريطة أن تتجرد من حظوظها، وأن تتواضع لربها، وأن تستسلم له وتخضع، وتنقاد: « لا يحقرن أحدكم نفسه. . . » الحديث[١]، ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ(٦٩) ﴾ [العنكبوت] .

٣ ـ التعريف بالكون تعريفًا يبصرنا بكيفية الإفادة منه لخير البلاد والعباد، وذلك يلفت النظر إلى أن هذا الكون مسخر لنا، وقد خلق لمصلحتنا، وأن علينا أن نواظب على الطاعة والاستقامة لله ـ عز وجل ـ حتى يظل هذا الكون منسجمًا معنا، غير متمرد علينا ، دائم العطاء لنا ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) ﴾ [الجن] .

ولا شك أن انسجام الكون معنا، وعدم تمرده علينا، وديمومة عطائه لنا بسبب استقامتنا مع ربنا، وطاعتنا له ـ تبارك وتعالى ـ مما يفتح باب الأمل، والتفاؤل أمام المتشائمين، ويجعلهم يوقنون أن مزيدًا من الطاعة والاستقامة يجعل كل ما فى الكون معنا حربًا ونارًا على كل من يحادون الله ورسوله، ويصدون عن سبيل الله، ويبغونها عوجًا، كما شهد بذلك تاريخ البشرية الطويل .

٤ ـ التبصير بواقع العدو ولاسيما من الناحية النفسية، وذلك يلفت النظر إلى أن هذا العدو غير عفيف، ولا نزيه فى حربه مع الحق، وأنه لا يتورع من استخدام أى أسلوب يحقق له ما يريد، وإن كان يتنافى مع القيم، والآداب والأخلاق لأن من منطلقاته الثابته التى لا تتغير ولا تتبدل أبدًا : أن الغاية تبرر الوسيلة، وأن الكذب والدجل وقلب الحقائق هو جوهر هذه الأساليب، وأنه وإن كان يبدو متماسكًا مترابط الجأش أمامنا، إلا أنه فى حقيقة أمره، خائف، وجل من داخله، يعانى الكثير والكثير، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ﴾

[النساء : ١٠٤]

وأنه حاقد من داخله لا يحب أحدًا، حتى أبناء جلدته كما قال سبحانه : ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ [الحشر : ١٤] .

وأنه ليس له من مولى يعتمد عليه فى حربه لنا سوى الشيطان، والشيطان لا حول له ولا قوة، فى جنب حول وقوة خالقه، وباريه، والممسك بناصيته: ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩) ﴾ [المجادلة] .

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ١٣٣ .

إذا تبصر المسلم ذلك، وتبصر أن الله مولاه، وقد وعد بنصر المؤمنين ودحض المبطلين والمجرمين، كما قال سبحانه : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ (١١) ﴾ [محمد] ، ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١) ﴾ [المجادلة] ، ووصلت هذه البصيرة لديه إلى حد اليقين، فإنه يتحرز من التشاؤم، ويفتح أمامه باب الأمل، والتفاؤل، والتيامن .

٥ ـ إحياء الفقه الاصطلاحى لا العرفى لكل من الجهاد والنصر، كى يطمئن المعلم، والمربى، والطبيب، والمهندس، والفلكى، والجيولوجى، والتاجر، والصانع، والزارع وغيرهم أنهم بعملهم هذا حين يقصدون به وجه الله، وامتثال أوامره، وإعزاز الأمة، وتحريرها من أن تبقى عالة على عدوها يتحكم فيها كما يشاء، وكيفما شاء، فإنهم مجاهدون كالمحارب فى ميدان القتال سواء بسواء، وأنهم كذلك بثباتهم على منهجهم فى وجه الامتحانات والابتلاءات سواء أكانت شدة أم رخاء، بل حتى موتهم وهم ثابتون على هذا المنهج، عاملون له، يكتبون فى سجل المنتصرين، ورضى الله عن هذا الصحابى الجليل، الذى جاءته ضربة مسددة من قبل عدوه دخلت فى ظهره، فخرجت من صدره فهتف بأعلى صوته قائلا: «فزت ورب الكعبة، فزت ورب الكعبة»، إن إحياء مثل هذا الفقه، له دور كبير فى القضاء على التشاؤم وملء النفس بالتفاؤل، والتيامن .

٦ ـ التأكيد على فقه المحن والابتلاءات، وأنها ليست أبدًا دليل عدم الرضا من الله، فقد سئل رسول الله ﷺ ـ كما قدمنا ـ : أى الناس أشد بلاءً ؟ قال : « الأمثل، ثم الأمثل، فالأمثل، يبتلى الناس على قدر دينهم، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وإن الرجل ليصيبه البلاء، حتى يمشى على الأرض ما عليه خطيئة »[1] ، وإنما قد تكون لحكمة يعلمها الله، وهى فى النهاية لصالح المسلم، إن مثل هذا الفقه يقتلع التشاؤم من أغوار النفس، ويزرع مكانه الأمل، والتفاؤل .

٧ ـ الانسلاخ من صحبة المتشائمين ، والارتماء فى أحضان المتفائلين الواثقين بربهم، وبمنهجهم ، وبقدوتهم ، وبأنفسهم ، وبأمتهم الآخذين من ماضيهم العبرة

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الزهد : باب ما جاء فى الصبر على البلاء ٤/ ٥٢٠ رقم (٢٣٩٨) وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن صحيح »، والنسائى فى : الكبرى : كتاب الطب : باب أى الناس أشد بلاء ٤/ ٣٥٢ رقم (٧٤٨١)، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الفتن : باب الصبر على البلاء ٢/ ١٣٣٤ رقم (٤٠٢٣)، وأحمد فى : المسند ١/ ١٧٢، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥، كلهم من حديث سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه به .

لحاضرهم، فإن مثل هذا الانسلاخ له دور كبير فى علاج التشاؤم، وتحلية النفس بالتفاؤل والتيامن .

٨ ـ دوام النظر فى قصص الماضين مكذبين ومصدقين، وطبيعة الصراع بينهم، والنتيجة التى أسفر عنها هذا الصراع، فإن ذلك يطمئن المؤمنين، ويريحهم من داخلهم أن العاقبة لهم مصداقًا لقوله سبحانه :

﴿ والْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) ﴾ [القصص] ، ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) ﴾ [الأنبياء] ، ﴿ ولا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً (٤٣)﴾ [فاطر] ، ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ(١٣٧) ﴾ [آل عمران] .

٩ ـ الموازنة المستمرة بين حاضر هذه الأمة، وماضيها القريب، ولا سيما هذا الماضى الذى اقترن بسقوط الخلافة الإسلامية، وسيظهر من هذه المقارنة أنه بعد أن كان الالتزام بالشعائر التعبدية أو بالعبادات المخصوصة من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وعمرة، وحفظ وتلاوة لكتاب الله، والذكر، والدعاء، والاستغفار، والحفاظ على الحجاب والزى الإسلامى، سمة واضحة من سمات كبار السن الذين أحيلوا إلى التقاعد عن العمل أو هدهم المرض، فوهنت قواهم وضعفت بنيتهم، فلا يصلى إلا العجوز رجلا أو امرأة، ولا يرسل اللحية إلا الكبير الطاعن فى السن، ولا تلتزم بالحجاب والزى الإسلامى إلا العجوز التى صارت من القواعد، ولا يحج، ولا يعتمر إلا العجائز، ولا يصوم إلا الكبير . . . وهكذا حتى كان الشاب الذى يحاول الالتزام بهذه الشعائر محل سخرية واستهزاء من الآخرين .

بعد هذا كله تبدلت الصورة، وصار الالتزام بهذه الشعائر هو السمت العام فى الأمة، ولاسيما فى صفوف الشباب، وخير دليل على ذلك : المساجد فى أيام رمضان، ولاسيما فى العشر الأواخر، عشر الاعتكاف، حيث تغص هذه المساجد بالشابات والشباب كل فى مصلاه، وصلاة العيد، حيث تمتلئ الساحات بالشباب، والشابات، والأطفال كل فى مصلاه، والحج والعمرة حتى أصبحت نسبة الشباب والشابات إلى العجائز كبيرة جدًا ربما تجاوز السبعين فى المائة، وكذلك الالتزام بالحجاب والزى الشرعى صار هو السمة العامة فى الأمة، حتى المتبرجات اللائى يرغبن فى الزواج صرن على يقين أن الشباب لا يرغب فيهن، وهن هكذا متبرجات، ومن ثم يرتدين الحجاب، وإن لم يكن كاملا، ولكنه خطوة على الطريق، ودليل أن الأمة قطعت شوطًا لا بأس به

على طريق العودة إلى الإسلام، وانتشرت أيضًا مدارس، ومعاهد، وحلقات القرآن، والحديث حفظًا، وترتيلا، وفقهًا، وتدبرًا، حتى فى قعر أوربا الشرقية والغربية وأمريكا.

وبعد أن كانت اللامبالاة، وعدم التفريق بين الحلال والحرام فى المطاعم والمشارب، والملابس، والمراكب، والسكن هى السمة العامة فى الأمة، حتى انتشرت البنوك الربوية فى كل بلاد المسلمين، وحتى عمت وشاعت الرشوة، والغش، والاحتكار، والسلب والنهب هنا وهناك، بعد هذا كله صارت الدقة فى تحرى الحلال والحرام هى الأساس والأصل، فكانت البنوك والمصارف الإسلامية الموزعة فى كل أنحاء العالم، والتى جاوزت الخمسين حتى الآن، وصار الإقبال عليها من المسلمين عديم النظير، حتى لو لم يحصلوا عليها عائدًا أو فائدة، حسبهم أنها خالية من الربا، وكان السؤال بإلحاح عن كل شىء، أهو حلال أو حرام، حتى سألت امرأة أن زوجها يمشى لزيارة أقاربه، وأموال هؤلاء الأقارب كلها ربا فى ربا وهو يأكل عندهم، ثم يعود فيعاشرها، فهل يصيبها شىء من هذا الحرام ؟ وحتى أصبح الناس، ولاسيما الشباب والشابات يسألون عن العمل مع هذه الأنظمة التى تحكم بغير ما أنزل الله، وفى ظلها، ولاسيما فى الشرطة والجيش والبنوك، وغيرها، وعن العائد المالى من وراء العمل فى هذه المؤسسات.

وبعد أن كان الساسة، والحكام والحزبيون وغيرهم يعلنون فى إصرار ألا دخل للدين فى السياسة، ولا دخل للسياسة فى الدين، صارت السمة العامة لأولئك ـ إرضاءً للشعوب المسلمة التى لا يرضيها إلا أن تحكم بشرع الله ـ أن الإسلام دين ودولة، صحيح هم يقولونها بأفواههم، ولا تؤمن بها قلوبهم، لكن لنا الظاهر، والله يتولى السرائر، وهى كذلك خطوة على الطريق .

وبعد أن كان التعليم ينطلق من العلمانية التى تفصل بين التعليم المدنى والتعليم الشرعى، حتى خرج لنا طائفة من الملحدين الذين يحادون الله ورسوله، وتولوا هم بأنفسهم بذر بذور الشر والفساد فى الأمة، أصبح التعليم فى كثير من المدارس، والمعاهد، والجامعات ينطلق من منطلق إسلامى، ألا وهو عدم الفصل بين التعليم الشرعى والتعليم المدنى، بل هناك قدر من العلوم العينية وهو ما تصح به العقيدة، والعبادة، والسلوك، وتضبط به النظم والتشريعات تتعلمه الأمة كلها رجالا ونساءً، صغارًا، وكبارًا، ثم يكون التخصص فى فرع أو أكثر من فروع المعرفة التى بها تعز الأمة، وتسود، ولقد أثمر التعليم بهذا المنطلق الجديد حتى صرنا نرى طبيبًا أو مهندسًا أو فلكيًا يحدثك فى الإسلام حديثًا يفوق به المتخصصين فى العلوم الشرعية، إن هذه الموازنة ضرورية لاقتلاع جذور التشاؤم من النفس، وصبغها بصبغة الأمل، والتفاؤل .

١٠ ـ التذكير المستمر بعواقب التشاؤم الدنيوية، والأخروية، الفردية والجماعية على النحو الذى شرحنا، فإن ذلك أيضًا له دور كبير فى علاج التشاؤم، واستبداله بالتفاؤل والتيامن، إذ الإنسان كثيرًا ما ينسى، وعلاج النسيان إنما يكون بالتذكير الدائم: ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥)** ﴾ [الذاريات] ، ﴿**فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ (٩)** ﴾ [الأعلى] .

١١ ـ الحرص على حضور التجمعات الإسلامية فى موسم الحج، وفى المؤتمرات، وفى الندوات، والمحاضرات، وفى رمضان، وفى العيدين، فإن رؤية جموع المسلمين، وإقبالهم على دينهم مما يزرع فى النفس الثقة والتفاؤل، ويخلصها مما تعانى من التشاؤم.

١٢ ـ الوقوف طويلا عند الحركات الجهادية التى انطلقت الآن فى كل مكانٍ فى العالم، ولاسيما فى أفغانستان وفلسطين باذلةً النفس والنفيس من أجل زحزحة وإزاحة الباطل من طريق الناس، والتمكين لمنهج الله فى الأرض، ولقد لاحت بشائر النصر، فها هى أفغانستان يقوم فيها ـ بمشيئة الله تعالى ـ بعد جهاد دام قريبًا من خمسة عشر عامًا حكم إسلامى يطبق القرآن، وهدى النبى الأمين محمد ﷺ، فضلا عن أن سقوط الشيوعية الحمراء الملحدة التى كانت تحكم نصف العالم كان ثمرة مباشرة من ثمار هذا الجهاد الأفغانى، وها هم أطفال الحجارة فى فلسطين يدوخون اليهود والصهاينة فى إسرائيل ويجعلونهم يدورون حول أنفسهم متسائلين : أين طريق الخلاص ؟ إن الوقوف عند مثل هذه الحركات الجهادية المنتشرة هنا وهناك فى كل أنحاء العالم ، ولاسيما العربى والإسلامى له دور كبير فى زرع الثقة والتفاؤل فى النفس ، وتحريرها من التطير والتشاؤم .